(٢٢)

خرجت الملايين إلى الميادين
لكن رويترز رأت أن العدد
لا يزيد عن الألف!

الجد والحفيد وباقى أفراد الأسرة نزلوا إلى ميدان التحرير للاحتفال مع الجموع الغفيرة.. ليس بفوز السيسى بمنصب الرئاسة لكن بعودة مصر إلى نفسها وإلى أهلها وإلى عروبتها فقد انهالت برقيات التهانى سريعا من الأشقاء فى الخليج السعودية.. الكويت.. الإمارات.. البحرين.. سلطنة عمان.. والأردن وسائر الدول الشقيقة وجاءت برقية أمير قطر يوم التنصيب لا تزيد كلماتها الرسمية عن ٣٠ كلمة وكان الرد ب ٢٠ فقط. ووسط الاحتفالات كانت أصداء كلمات المستشار أنور العاصى رئيس اللجنة العليا للانتخابات تدوى وتكشف الكثير من اسرار فوز السيسى ونزاهة العملية حيث قال: «نلتقى بكم اليوم والشعب يحقق الخطوة الثانية من خارطة الطريق»، مشيرا إلى أن الشعب اختار رئيسه، ولم يتبق سوى اختيار البرلمان، موضحا أن الدستور والقانون حددا الدور المنوط باللجنة العليا للانتخابات بمنتهى الاستقلالية، وأنها حرصت منذ البداية على التزام دقة قاعدة بيانات الناخبين، وابتعدت عن الرد على أى سلبيات قد تعطل عملها وكان الرد وفقا للقانون.

أوضح العاصى أنه لم يتقدم للترشح سوى المرشحين الرئاسيين وأوراقهما كانت سليمة، مشيرا إلى أن اللجنة رصدت مخالفة دعائية لكل مرشح وجرى حفظها لأنها لم تؤثر على الانتخابات. وأضاف أن اللجنة أكدت ضرورة أن يجرى الفرز أمام ممثلى المجتمع المدنى والإعلام، مؤكدا أن زيادة عدد اللجان الانتخابية يفسر غياب وجود كثافات أمام اللجان.

وحول أزمة تصويت الوافدين، قال العاصى إن وسائل الإعلام أساءت للجنة العليا للانتخابات فى التعامل مع تصويت الوافدين، موضحا أن اللجنة اختارت الطريق الآمن فيما يتعلق بمشكلة الوافدين لتحصين منصب الرئيس، منوها بأن قرار اللجنة العليا للانتخابات بمد التصويت فى الانتخابات الرئاسية يوما ثالثا، لم يكن عشوائيا، وإنما كان مدروسا، حيث شهدت البلاد موجة شديدة الحرارة مع يومى الانتخابات، أدت لتمديد يوم ثالث ليتمكن كل فرد من التصويت، وكى يعود الوافدون لمواطنهم، واتخذته اللجنة لصالح المواطنين دون أى شىء آخر، مؤكدا أن نسبة الحضور فى اليوم الثالث بلغت نحو عشرة فى المائة من إجمالى الحضور.

وقال الأمين العام للجنة العليا للانتخابات المستشار عبد العزيز سالمان إن مصر بدأت تخطو نحو مستقبل حقيقى ديمقراطى، بدأ بانتخابات حرة نزيهة جرت تحت بصر العالم كله فى متابعة منظمات المجتمع المدنى الدولية والمحلية وهيئات دولية كثيرة منها الاتحاد

الأوروبى والأفريقى والكوميسا والبرلمان الأوربى واتحاد الساحل والصحراء وجامعة الدول العربية والبرلمان العربى والسفراء المعتمدون فى الداخل أو الخارج.. والتاريخ سوف يثبت أن هذه الانتخابات التى جرت فى مصر غير مسبوقة كان الحاكم فيها المعايير الدولية للاستقلال والنزاهة والتجرد والمهنية، مشيرا فى هذا الصدد إلى التقارير الأولية للمنظمات الدولية والمحلية والهيئات التى تابعت العملية الانتخابية.

وأضاف إن الشعب المصرى انتصر بإرادته وظهر للعالم أجمع المعدن الحقيقى له، وقال إن هؤلاء القضاة العظام هم جزء من الشعب المصرى، منوها بأن اللجنة الانتخابية منذ بداية عملها لا تعمل إلا وفق الدستور والقانون ولا تصدر من القرارات إلا ما يحقق صالح مصر، وأكد أن اللجنة العليا للانتخابات لم تنحز إلى جانب دون الآخر، حتى أتمت عملها.

وسرعان ما تسربت الأنباء من داخل سجن "برج العرب" حيث يتم التحفظ على الرئيس المعزول محمد مرسى على ذمة قضايا عديدة أبرزها التخابر مع دول أجنبية وإفشاء أسرار الدولة العليا بما يمس الأمن القومى.. والهروب من سجن وادى النطرون وقالت التسريبات.. إن الرئيس المعزول أصابته حالة من الاكتئاب والهياج فى أعقاب علمه بنتائج الانتخابات الرئاسية، والفوز الكاسح للمشير عبد الفتاح السيسى.. حيث إن المعزول حاول أن يبدو متماسكا أمام مرافقيه عندما سمع ضجيجا وهتافات داخل السجن، وابتسم وهو يقول للضابط المعين لحراسته فى السجن: "السيسى عملها، وناوى يقضى على الجماعة"، «يقصد الإخوان»، ثم دخل فى نوبة صمت كبيرة.. وعندما سأله أحد الضباط عن رأيه فى فوز السيسى قال: "أكيد الانتخابات دى هتغير حاجات كثيرة، والعالم أكيد هيتعامل معاه كرئيس منتخب".. لكن المعزول لم ينس أن يبدو متماسكا، وهو يردد "٩٣٪ " كتير قوى.

وفى وقت توالت فيه ردود الأفعال العالمية بعد فوز السيسى وقالت مجلة "التايم" الأمريكية إن أنصار السيسى خرجوا إلى الشوارع للاحتفال بفوزه الساحق فى نفس الميدان الذى شهد الثورة ضد مبارك.. وخرج منه مرسى يفتح صدره أمام الآلاف بعد توليه الرئاسة.

وسلطت المجلة الضوء على مظاهر الاحتفال التى جمعت بين التلويح بالأعلام المصرية وملصقات السيسى والرقص والغناء.. فضلا عن ذلك، شهدت مدينة الإسكندرية وسلسلة مدن أخرى شمال العاصمة ومحافظة الفيوم احتفالات مماثلة.

وأرجع النقاد قلة الناخبين فى الانتخابات، إلى اللامبالاة حتى بين مؤيدى السيسى، لأنهم كانوا يعلمون أن فوزه كان أمرا مفروغا منه.

فيما رأت شبكة "دويتشيه فيله" الألمانية، فى نسختها الصادرة بالإنجليزية، أن السيسى كان متوقعًا أن يهزم بسهولة منافسه اليسارى "حمدين صباحى"، لافتة إلى أنه حقق انتصارا ساحقا فى الانتخابات الرئاسية.

وذكرت صحيفة "جولف نيوز" الإماراتية: أن أنظار العالم أجمع اتجهت صوب مصر، لمتابعة العملية الانتخابية، ليس لتشكيكهم فيها، وإنما لأن النتائج ستكون لها تأثير على العديد من القضايا الإقليمية الأخرى فى كثير من البلدان العربية.

وشرح محللون أن تركيز القيادة الجديدة على الشئون الداخلية لن يمنع من وضع السياسة الخارجية فى مسارها الصحيح.

ومن جانبه أكد محمد عبد السلام – المدير الأكاديمى لمركز المستقبل للدراسات والبحوث المتقدمة فى "أبو ظبى" أن زيادة نسبة الإقبال والتصويت لصالح السيسى سيقلل من وزن وثقل الجماعات الإسلامية فى المنطقة.

وأوضح إيساندر العمرانى، مدير مشروع شمال إفريقيا بمجموعة الأزمات الدولى، أن ما حدث فى مصر فى السنوات الثلاث الماضية، أحدث شرخا فى جميع أنحاء المنطقة، مما يشكل عواقب مهمة على العلاقات بين الدول التى أيدت الإخوان وتلك التى يدعمها الجيش.

وعلى الجانب الآخر، علق الكاتب البريطانى "روبرت فيسك" على سباق الانتخابات الرئاسية، قائلا "لو كنت مصريا لانتخبت السيسى".

وأضاف فيسك، فى مقاله فى صحيفة الإندبندنت البريطانية، أن مصر تشهد حاليا مرحلة تتويج الإمبراطور، مشيرا إلى أن الرئيس المقبل سيواجه العديد من التحديات الصعبة على صعيدى الأمن والاقتصاد.

وأعلن فيسك أن تأييده للسيسى، بسبب كونه ملاذًا للمصريين للتحرر من الديمقراطية الزائفة خلال فترة حكم مرسى، كما أن معظم دول الخليج تدعم السيسى بقوة مما يحول دون سقوط مصر فى أزمة مادية.

فضلا عن عدم استمرار دعمها للجيش المصرى من خلال تقديم المزيد من الضمانات.

واعتبر فيسك أن السيسى وحديثه عن مكافحة الإرهاب وضرورة إرساء الاستقرار لاقى قبولا لدى واشنطن.

واستمرارًا لردود الأفعال العالمية والدولية، أكد نائب رئيس شرطة دبى، الفريق "ضاحى خلفان"، أن قناة الجزيرة القطرية أصبح لونها أسود، بسبب فوز السيسى.

كما أوضح أن فوز السيسى لكمة قوية للجزيرة، مشيرا إلى أنه تم تجنيد القناة لتدمير مصر، ولكن الشعب المصرى انتصر على المخطط الإخوانى فى المنطقة.

وليت الأمر توقف عند الجزيرة وتهوينها واستخفافها بهذا النجاح المدوى للسيسى.. لكن نفس اللعبة مارستها وكالات أنباء عالمية مثل رويترز التى نشرت تقريرا من القاهرة بتوقيع ستيفن كاليه وماجى فيك وجاء فيه إن العملية الانتخابية جاءت أدنى مما كان متوقعا لها مما أثار تساؤلات حول مدى التأييد الشعبى الفعلى الذى يتمتع به السيسى الذى يعتبره أنصاره بطلا يمكن أن يحقق لمصر الاستقرار السياسى والاقتصادى وهو كلام يكفى للرد عليه العودة إلى الأرقام التى أعلنتها اللجنة العليا للانتخابات.

وأشارت جولة لمراسلى رويترز فى عدد من اللجان الانتخابية خلال أيام التصويت الثلاثة إلى انخفاض الإقبال على التصويت. وربط البعض انخفاض نسبة الإقبال باللامبالاة السياسية من جانب البعض واعتراض آخرين على تولى شخص جديد من خلفية عسكرية رئاسة البلاد واستياء بين شباب ذوى ميول ليبرالية مما يرون أنه قمع للحريات إضافة إلى دعوة الإخوان المسلمين لمقاطعة الانتخابات.

وقال محمود إبراهيم (٢٥ عاما) الذى يسكن فى حى امبابة الشعبى "الانتخابات دى تمثيلية. مهزلة. التصويت ضعيف لكن الإعلام كذب على الناس. كل ده علشان رجل واحد."

وانخفض المؤشر الرئيسى للبورصة ٢,٣ فى المئة أمس الأربعاء بعد أن رأى البعض أن نسبة التصويت مخيبة للأمال كما أغلق اليوم الخميس منخفضا ٣,٤٥ فى المئة بعد أن قال وزير المالية إن الحكومة وافقت على ضريبة نسبتها عشرة فى المائة على الأرباح الرأسمالية لسوق الأسهم. وفى السوق السوداء شهد الجنيه المصرى تراجعا بسيطا.

مجتمع الأعمال

لكن محمد السويدى رئيس اتحاد الصناعات المصرية قال إن مجتمع الأعمال سعيد جدا بالنتائج وأضاف "نحتاج إصلاحا حقيقيا وفرصا... رجلا لديه الشجاعة لاتخاذ قرارات. أنا وأصدقائى عندنا أمل كبير."

ويرى أنصار السيسى أنه الشخصية القوية التى يمكنها أن تضع نهاية للاضطرابات التى تجتاح مصر على مدى ثلاث سنوات منذ الانتفاضة التى أطاحت بحسنى مبارك عقب ٣٠ عاما قضاها فى الحكم.

لكن منتقديه يخشون أن يتحول السيسى إلى حاكم مستبد جديد يعمل على حماية مصالح المؤسسة العسكرية ويخمد الآمال فى الديمقراطية ويسيء إدارة الاقتصاد.

ويتمتع السيسى بتأييد القوات المسلحة ووزارة الداخلية وكثير من الساسة ورجال أعمال ازدهر نشاطهم فى عهد مبارك ولايزالون يتمتعون بنفوذ قوى.

كما يحظى السيسى بتأييد السعودية والإمارات والكويت التى ترى فى جماعة الإخوان المسلمين خطرا عليها. وضخت الدول الثلاث مليارات الدولارات لمساعدة مصر على اجتياز الفترة الانتقالية والصمود اقتصاديا.

وقال محمد زلفة عضو مجلس الشورى السعودى "يمكن لمصر والسعودية أن تعملا معا للتصدى للتهديدات سواء الداخلية مثل الإخوان المسلمين أو الخارجية مثل إيران وأنصارها فى المنطقة."

وأضاف "أعتقد أن السعوديين سيفعلون كل ما بوسعهم لدعم السيسى الآن بعد انتخابه لأن الشعب المصرى يؤيده."

إجراءات صعبة

التف كثير من المصريين حول السيسى بعد إعلان الجيش عزل مرسى الذى رأوا أنه سعى خلال عام رئاسته لاحتكار السلطة وأنه أساء إدارة الاقتصاد.

لكن الإقبال على التصويت الذى جاء أقل من المتوقع أثار تكهنات بأن السيسى ربما لا يملك التفويض الشعبى الكافى الذى يمكنه من تنفيذ إجراءات صعبة مطلوبة لاستعادة النمو الاقتصادى العفى والحد من الفقر والبطالة وإنهاء دعم الطاقة المكلف.

وقال سايمون وليامز كبير الاقتصاديين فى بنك اتش.إس.بى.سى الشرق الأوسط "العمل الشاق يبدأ هنا. آخر ١٢ شهرا كانت عن (عزل) مرسى. والآن على النظام أن يحقق نتائج."

وأحد الاختبارات الكبرى أمام السيسى مسألة دعم أسعار الطاقة التى تستنزف مليارات الدولارات من موازنة الدولة كل عام. وقد حث رجال أعمال السيسى على رفع أسعار الطاقة برغم أن ذلك قد يؤدى إلى احتجاجات وإلا فإنه سيجازف بمزيد من التدهور الاقتصادى.

وتنبأ تامر أبو بكر رئيس شركة مشرق للبترول بأن السيسى سيرجىء أى قرارات جريئة فى الأشهر القليلة الأولى من رئاسته برغم أنه وصفها بأنها حتمية.

وقال أنجوس بلير رئيس سيجنت للتوقعات الاقتصادية "الكل يريد شكلا ما من أشكال الاستقرار حتى تستطيع أن تتخذ قراراتك الاستثمارية. عندما يكون هناك استقرار فإنه يجعل تقييم المخاطر أسهل كثيرا."

واحتفلت أغلب الصحف المصرية بنتيجة الانتخابات ووصفتها صحيفة الأخبار اليومية بأنها تمثل "يوم أمل لكل المصريين".

وانطلقت الألعاب النارية فى سماء القاهرة بعد أن بدأت النتائج فى الظهور ولوح أنصار السيسى بالأعلام المصرية وأطلقوا أبواق السيارات فى الشوارع المزدحمة.

وتجمع نحو ١٠٠٠ شخص فى ميدان التحرير رمز الانتفاضة الشعبية التى أطاحت بحكم مبارك عام ٢٠١١م.

وتجاهلت رويترز الآلاف التى خرجت فى كافة محافظات مصر للاحتفال بفوز السيسى وقالت إن العدد الذى نزل التحرير كان فى حدود الألف مواطن لا أكثر وهى مغالطة ترد عليها التسجيلات المصورة الموجودة فى كافة القنوات إلا من تعاملت مع الحدث بعين عمياء لا ترى الحقيقة.. أو تتجاهلها.. عمدا مع سبق الإصرار والترصد.

واختلف الحال بعض الشىء فى تقرير نشرته قناة "دوتشت فيلا" العربية على موقعها الإلكترونى من خلال بعثة المراقبين الأوربيين التى وصفت الانتخابات بالديمقراطية والسلمية والحرة حسب رئيس البعثة وعضو البرلمان الأوربى "روبرت جوبلز" وإن كانت البعثة قد اعترضت على تمديد التصويت ليوم ثالث وإن اعترفت بأنها خطوة قانونية لا غبار عليها وقال التقرير:

خطوة اللجنة العليا هذه تم اتخاذها برغم اعتراض المرشحين عبد الفتاح السيسى وحمدين صباحى عليها. وهى جاءت بعد الإقبال الضئيل على صناديق الاقتراع خلال اليومين الأولين، حيث أشارت أولى الأرقام إلى نسبة مشاركة لم تتعد ٣٧ بالمائة. وهو ما شكل مفاجئة كبيرة فى صفوف مؤيدى المشير عبد الفتاح السيسى والذى كان يعد نجاحه مؤكدا.

،ثقة عالية بالنفس؟!،

السيسى وعد فى الخطاب الذى أعلن فيه نيته الترشح لتقلد أعلى منصب فى مصر، أن الانتخابات ستكون نزيهة وحرة. كما أنه برر خطوته فى الترشح بكونه يستجيب لمطالب

الشعب المصرى الذى خرجت جموع غفيرة منه إلى الشوارع لمطالبته بقيادة البلاد. هذه هى الصور التى كانت تظهرها أغلب وسائل الإعلام المصرية الأسابيع التى سبقت الانتخابات الرئاسية المصرية. الحديث كان يدور دائما حول تفويض قام به الشعب المصرى للمشير عبد الفتاح السيسى أن يصبح رئيسا للبلاد. بعض الإعلاميين أظهروا أن السيسى لا بديل له فى هذه المرحلة.

ربما تكون هذه الحملة الإعلامية والثقة العالية بالنفس هى التى أصبحت فى النهاية الفخ الذى وقع فيه أنصار السيسى عندما لاحظوا الإقبال الضعيف على صناديق الاقتراع. المشير عبد الفتاح السيسى خلال حملته الانتخابية لم ينزل ولو مرة واحدة لمقابلة مناصريه واكتفى عوضا عن ذلك بمخاطبتهم عبر وسائل الإعلام. اللقاءات التى عقدها كانت مع شخصيات تم اختيارها مسبقا، ومعروف عنها ولاءها له. كما أنه لم يقدم برنامجا انتخابيا إلا قبل أيام قليلة من بدء الاستحقاق الرئاسى. الإعلاميون والصحفيون المؤيدون للسيسى برروا ذلك أن الأخير لا يحتاج لبرنامج انتخابى، ليجعلوا منه، مرة أخرى، المرشح الذى لا بديل له. هذه التصرفات أيقظت لدى الكثيرين، حتى من كانوا يبدون تعاطفا مع المشير السيسى، ذكريات تعود لحقبة ظنوا أنهم انتهوا منها مع ثورة الخامس والعشرين من يناير، ما جعلهم يعكفون عن التوجه إلى صناديق الاقتراع.

«انعدام النزاهة فى الانتخابات»

قبل أسابيع من موعد الانتخابات بدا الفائز فيها واضحا للجميع. تكرار المفاجأة التى حققها المرشح حمدين صباحى فى الانتخابات السابقة، لم يعد يؤمن بها سوى مؤيدو هذا الأخير وأعضاء حملته الانتخابية. أما الباقون، وإن كانوا متعاطفين معه قليلا، أو إن كانوا لا يرون فى السيسى المرشح المناسب، فقد اختاروا الاعتكاف، لاعتقادهم أن صوتهم لن يغير من مسار الأمور شيئا.

حظوظ السيسى فى النجاح لم تكن راجعة فقط لأعماله أو أقواله. فمؤيدوه يملكون طاقات كبيرة مكنتهم من دعم حملته سياسيا وماديا. أغلب اللافتات التى تظهر صور السيسى فى شوارع المدن المصرية، قام رجال أعمال أو تجار بنصبها. إضافة إلى الآلة الاعلامية التى أعطت مساحات كبيرة للدعاية للسيسى.فى حين اضطر صباحى إلى التجول فى مدن مصر ومطالبة المواطنين بمنحه الثقة. الدعاية للسيسى امتدت أيضا لتشمل فترة الاستحقاق،

حيــث كان هناك فــى العديد من المؤيدين يغنــون ويهتفون له أمام مراكــز الاقتراع، وهو ما اعتبره المراقبون خرقا للصمت الانتخابى.

«تراجع عن شعارات ٢٥ يناير»

دعــوات المقاطعة للانتخابــات جاءت من قبل جماعة الإخوان المســلمين الذين لازالوا يعيشــون فى مرحلة ما قبل الثلاثين من يونيو ٢٠١٣م ومازالوا متشــبثين برئيسهم المعزول محمد مرســى. لكن شــباب الثورة اعترضوا، وإن بعزوف عن المشــاركة فــى الانتخابات الرئاســية. المشــير عبد الفتاح السيســى تحدث فى لقاءاته التلفزيونية المسجلة عن تحقيق الأمــن والاســتقرار دون أن يعد بمنظومة حقوق تحترم الحريــات العامة، من أهمها حرية الــرأى والتعبــير والحق فى التظاهر، كما دافع عن قانــون التظاهر الجديد والذى أصدرته الحكومــة المصرية نهاية العــام الماضى. وهذا ما اعتبره الكثيرون تراجعا للسيســى، الذى يعتبره البعض قائدا لثورة الثلاثين من يونيو ضد الإخوان المســلمين، عن أهم شعارات ثورة ٢٥ يناير المتمثل فى الحرية.

من الناحية الاقتصادية يعتمد مشــروع الرئيس القادم عبد الفتاح السيســى على سياسة تقشف تمس الفقراء من الشعب المصرى، حسب انتقادات معارضيه. وهو ما يعتبره العديدون تراجعا عن شعار آخر لثورة ٢٥ يناير وهو تحقيق العدالة الاجتماعية.

«الداخل يختلف»

ويبدو أن هناك اختلافا فى التوقيت والرؤى بين الخارج والداخل حيث ســادت موجة من التفاؤل والثقة فى المستقبل بعد نجاح السيسى.

ووجه محمد عطية عضو المكتب السياسى لتكتل القوى الثورية، التحية للشعب المصرى ومن أدلى بصوته، وشارك فى الانتخابات، مشيرا إلى أن اكتساح المشير عبد الفتاح السيسى إعلان شــهادة وفاة رسمية للإخوان المسلمين، كما وجه الشكر لحمدين صباحى واستمراره برغم الضغوط التى تعرض لها، واعتبر أن ذلك موقف وطنى يحسب له.

مــن ناحيتــه، قالت مارجريت عازر البرلمانية الســابقة: إن نجاح المشــير عبد الفتاح السيسى متوقع منذ أن استدعاه الشارع المصرى ووجد فيه الأمل والسبيل الوحيد للتخلص من الإرهاب، وبالتالى نجاحه كان مضمونا وبنسب عالية، وأوضحت أن السيسى لبى رغبة المصريين بخوضه الانتخابات ورد عليه الشعب بنسب تصويتية مرتفعة.

وأكدت، أنه مع وجود المشـير انقضى الفكر الإخوانى، مشـيرة إلى أن السيسى مع أول يوم له فى القصر الرئاسـى عليه مهام كثيرة ينجزها والشـعب المصـرى ينتظر منه الكثير والمشـير يدرك ذلك جيدا، ومن ثم سيحاول تلبية أحلام المصريين فى وجود دستور وبرلمان معبران عن الشارع المصرى.

أما محمد أبو حامد عضو مجلس الشعب السابق، فأكد أن الشعب المصرى كان واضحا فى توجهاته منذ ثورة ٣٠ يونيو، وانتخب وأيد من أنقذ مصر وبدأ المهمة وأيضا اختار من لديه القدرة على تحقيق طموحات المصريين، مشيرا إلى أن نجاح السيسى ليس مفاجأة بعد الدعم والحشـد الشعبى لصالحه، وأكد أن المشير لا وقت لديه للكلام، وأنه بدأ منذ إعلان ترشحه العمل على تحقيق مطالب المصريين، فالشعب فى انتظار من يلبى مطالبه، وأوضح أبـو حامد أنه لا وجود لكل خارج عن القانون فى زمن المشـير ومصر، ومصر فقط مفتوحة لمن يحترم شعبها إذا أراد التواجد فى العمل العام فى ظل القانون والدستور وهذا أمر حاسم بالنسبة للشعب.

وقال توحيد البنهاوى أمين عام الحزب الناصرى: إن ما حدث على مدار الأيام الثلاثة للانتخابات الرئاسـية، تأكيد لما سـبق أن قام به الشعب فى ٣٠ يونيو، فالشعب استدعى المشـير لقيادة مصر والعبور بها حتى نسـتطيع وضع أساس بناء الدولة المدنية الديمقراطية الحديثة، ومن ثم تخطت مصر الخطة الثانية من خارطة المسـتقبل وفى انتظار اسـتكمالها بإجراء الانتخابات البرلمانية.

وفى حوار نشره الأهرام بقلم إبراهيم السخاوى بعد أقل من أسبوعين على تسلم السيسى لمهـام منصبـه.. وذلك مع المفكر المصـرى العالمى سمير أمين وهو المولـود لأب مصرى وأم فرنسـية والحاصل على شـهادة الدكتوراة فى الاقتصاد من السوربون فى فرنسا.. وانتسب إلى الحزب الشيوعى هناك وعمل مديرا لمعهد الأمم المتحدة للتخطيط الاقتصادى وله العديد من المؤلفات العالمية.

فى الحوار قال أمين إن رأسمالية المحاسب كارثة الاقتصاد فى مصر.. والثورة لم تسقط النظام بقدر ما غيرت الشعب والتاريخ لا يعيد نفسه ونصح نظام السيسى باستغلال انشغال الغرب بمشاكله لتحقيق نهضة حقيقية.. وفى سؤال حول تصوره لمهمة السيسى كرئيس قال أمين فى وجهة نظر تجمع بين الداخل والخارج كمصرى وأوربى: الشعب الذى اسقط نظامين

أثبـت أنه قادر على الحركة والفعل ولكن كان ينقص الحركات الثورية والقوى السياسـية أن يكون لها مشـروع مشـترك وأهداف واضحة محددة ومتفق عليهـا.. وغياب هذه الرؤية وبالتالى غياب السياسة أعطى للجيش الذى حمى الشعب فى ثورتين أن يرث هذا الانتصار الشـعبى وكان السيسـى نابها عندما انحاز للشعب المصرى وارتبط بإرادة المصريين والشعب الذى أدرك أن الإخوان أسوأ من أى نظام حكم.. والمطلوب الآن الخروج من الليبرالية الغير مقيدة ومن أسر الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها وإذا فعل السيسى هذا سيكون قد نجح حيـث إن الظـروف المحلية والإقليمية والدولية مهيـأة الآن لأن أمريكا والغرب فى مرحلة أفـول[1] وإمريكا قوة عسـكرية كبرى لكنها لا تسـتطيع أن تحارب العـالم كله وهناك فى الداخل انتقاضات ضد سياسة التقشف وزيادة معدلات البطالة وتدهور المعيشة إلى حد كبير وأرى إنه يمكن للسيسـى أن يستخدم هذا الهامش لتحقيق تطلعات الشعب نحو الاستقلال الوطنى والاكتفاء الذاتى وعمل مشـروعات تنموية عملاقة وتحقيق مطالب العمال والفلاحين وإعادة الطبقة الوسطى للقيام بدورها بالإضافة للشق الخدمى وزيادة معدلات النمو ولابد أن تكون التجربة الجديدة فى إعادة بناء منظومة إنتاجية مستقلة وشعبية فى إطار ديمقراطى.

ومـا ذكره المفكر العالمى سمير أمين حول غياب شمس أمريكا.. سـبق وأن أعلنه كاتب هذه السطور فى كتاب أصدره عام ٢٠٠٩م بعنوان "عالم جديد".

ومنذ الإعلان الرسمى عن فوز السيسى ودخوله قصر الاتحادية كان واضحا أن تغييرات عديدة سـوف تشـهدها المنطقة التى كانت عرضة وماتزال لمخطط تقسـيم جديد.. ظهرت معالمة فى اليمن والسـودان وليبيا والعراق وامتد ذلك إلى سـوريا وتونس.. وكان معروفا أن الهياج الأمريكى ضد ثورة ٣٠ يونيو ليس تعاطفا مع الإخوان.. لكن لسـقوط المخطط الذى بشرت به كوندليزا رايس وزيرة الخارجية الأسبق.. وكان الجيش المصرى بقوته وجاهزيته هو الرقم الصلب الحقيقى فى تلك المعادلة.. وبعد أن فشـلت محاولات فك الارتباط الوثيق بين شـعب مصر وجيشـه.. بالاعتماد علـى الطابور الخامس الـذى تم تدريبه فى صربيا وبرعايـة أمريكية قطرية.. وبالتعـاون مع الجماعة الإرهابية الإخوانية التى تبنت شـعار يسقط حكم العسكر.

---

(١) «شـهادة وفاة دولة.. باى باى أمريكا» وكان سـباقا فى التنبؤ بسـقوط أمريكا بعد الأزمة المالية الطاحنة التى تعرضت لها..

«فلاش باك»

عندما كان السيسى وزيرا للدفاع وقبل أن يحصل على رتبة المشير.. التقى مع قيادات الجيش المصرى بعد أسابيع قليلة من ثورة ٣٠ يونيه.. ومن الواجب العودة إلى هذا الحديث تحديدا لأنه يكشف الكثير من شخصية الرجل وثوابته والمبادىء التى لا يفرط فيها رجل الجيش الذى يعرف جيدا كيف يدير عجلة المسيرة.. ولأن عنوان الكلمة التى قالها السيسى على رجاله "مصر عند مفترق الطرق" كان ضروريا ونحن نقارن بين ما كان وبين ما هو كائن وما سيكون.. أن نضع أيدينا على الكثير من الجوانب ونرسم صورة المستقبل من خلال الحاضر والماضى.. حيث قال السيسى للشعب كله لكن بلسان الجيش: ليس هناك من يملك وصاية على المواطنين أو يملى عليهم أو يفرض مسارا أو فكرا لا يرتضونه بتجربتهم الإنسانية والحضارية، واستيعابهم للدور التاريخى الذى قام به وطنهم عبر العصور، وإسهامه الحى والحيوى فى حركة التقدم، برغم كل العوائق والمطامع والمشاق والصعوبات التى قابلته واعترضت طريقه، وحاولت تعطيله.

أشار إلى أن القوات المسلحة المصرية بكل أفرادها وقياداتها وبلا تحفظ لابد أن تكون فى خدمة الشعب والتمكين لإرادته الحرة لكى يقرر ما يرى، لأن إرادته هى الحكمة الجماعية لعلاقته مع نفسه ومحيطه وعالمه وعصره، وأن القوات المسلحة المصرية عرفت وتأكدت وتصرفت تحت أمر الشعب وليست آمرة عليه، وفى خدمته وليست بعيدة عنه، وأنها تتلقى منه ولا تملى عليه.

إذا كانت الظروف قد فرضت على القوات المسلحة أن تقترب من العملية السياسية، فإنها فعلت ذلك لأن الشعب استدعاها وطلبها لمهمة أدرك، بحسه وفكره وبواقع الأحوال، أن جيشه هو من يستطيع تعديل موازين مالت وحقائق غابت ومقاصد انحرفت، والقيادة العامة للقوات المسلحة لم تسع إلى هذه المهمة، ولا طلبتها، وكانت ولا تزال، وسوف تظل وفية لعقائدها ومبادئها مع شعبها، ملتزمة بدورها لا تتعداه ولا تتخطاه، فمكان القوات المسلحة فى العالم الحديث واضح وجلى، وليس من حق أى طرف أن يدخل به إلى تعقيدات لا تتحملها طبائعه.

القوات المسلحة ومنذ الإشارة الأولى لثورة يناير ٢٠١١م عرفت مكانها، والتزمت بحدوده، برغم أن المشهد السياسى كله كان شديد الارتباك، سواء بسبب ما وقع للوطن

فى سـنوات ما قبل الثورة أو ما صاحب الثورة نفسـها من مناخ الحيرة والاضطراب، مما وقع للثورات فى أوطان أخرى وفى أزمنة بعيدة وقريبة، وكانت ظواهر ذلك المناخ مفهومة ومقبولة. كما أن تفاعلاتها وإن بدت متجاوزة فى بعض الأحيان، إلا أنها كانت تدعو إلى القلق والحذر فى نفس الوقت، لكن الحقائق لم تكن ممكنة التجاهل، وأهمها أن الاقتصاد المصرى سـواء بالمطامع أو بسـوء الإدارة أو بعدم تقدير حقوق أجيال قادمة وصل إلى حالة مـن التردى تنـذر بالخطر، وفى ذات اللحظة فإن الأحوال الاجتماعية والمعيشـية لغالبية الشـعب تعرضت لظلم فادح، بحيث وقعت توترات مجتمعية صاحبها سـوء تقدير وسـوء تصرف وسوء قرار، وقد تعثرت نوايا الإصلاح لأسباب متعددة ثم جرى أن المستوى الفكرى والثقافـى والفنـى الذى أعطى لمصر قـوة النموذج فى عالمها تأثـر، وتراجعت مكانتها فى إقليمها، وتراجع بالتالى دورها فى مجتمع الدول.

لست أريد أن أتوقف طويلا أمام الماضى، وأوثر أن أقارب الحاضر والمستقبل؛ لأن ذلك ما نستطيع أن نختار فيه ونتصرف على أساسه بما يريده الشعب وما يطلبه، وهنا فإن قوى هذا الشعب كافة، تقف الآن عند مفترق طرق. لقد ثارت قوى الشعب فى يناير ٢٠١١م ثم وجدت أن ما وصلت إليه الثورة لا يتناسب مع ما قصدته وسعت نحوه، وفى أبسط الأحوال اعتبرت أن آمالها أحبطت وأن مقاصدها انحرفت، وأن رؤاها للمستقبل نزلت عليها عتمة وظلمة لا تقبلها طبائع عصور التنوير والمعرفة والكفاءة.

وفـى كل هذه الأحوال فإن القوات المسـلحة كانت تتابـع موزعة بين اعتبارين، الأول اعتبـار دورهـا الذى قبلته وارتضته والتزمت به، وهو البعد عن السياسـة، والثانى اعتبار القرب من المسـئولية الوطنية، سواء بالمبدأ أو بخشية أن تفاجئها ضرورات القرار السياسى فـى يد من يملك السـلطة، يكلفها بمهـام لا تتوافق مع ولائها لشـعبها وحقه وحده فى توجيهها وتحديد موقعها.

وعندما وقعت انتخابات رئاسة الجمهورية الأخيرة وجاءت إلى السلطة بفصيل سياسى وبرئيـس يمثلـه، فإن القوات المسـلحة رضيت مخلصة بما ارتضاه الشـعب، مخلصا، ثم راح القرار السياسـى يتعثر، واعتبرت القوات المسـلحة أن أى تصويب أو تعديل ليس له إلا مصدر واحد وهو شرعية الشعب لأنه من يملك هذا القرار.

وبرغم ذلك فإن القوات المسلحة ممثلة فى قيادتها وجدت أن عليها واجب النصيحة تقدمها بمقتضيات الأمانة الوطنية، وقد فعلت، ولست أرضى أن أكرر عدد المرات التى أبدت فيها قيادة القوات المسلحة رأيها فى بعض السياسات وفى كثير من القرارات، ولست أريد أن أعدد المناسبات التى أبدت فيها تحفظها على الكثير من التصرفات والإجراءات مما فوجئت به.

□□□